التكفل النفسي بالمجرم

إعداد و تقديم :

ا.د/جابر نصر الدين

محبر الدراسات النفسية والاجتماعية

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية/جامعة محمد خيضر بسكرة

المحور السادس و الأخير من مقياس علم النفس الإجرامي لطلبة السنة لولى ماستر علم النفس العيادي.

عناصر المحاضرة:

1- أهمية التكفل النفسي بالمجرم – السجين-.

2-أهداف التكفل النفسي بالمجرم.

3- التكفل النفسي بالمجرم.

1- أهمية التكفل النفسي بالمجرم – السجين-

انطلاقا من كون السياسة الجنائية هي جملة الإجراءات و التدابير التي تعتمدها الدولة في فترة زمنية معينة لمواجهة الجريمة. فان التكفل السيكولوجي بالمجرم هو جزء من هذه السياسية الجنائية المتبعة و التي تعتمد على سياسة رعاية و تأهيل و علاج و إصلاح نزلاء السجون.

أن التوجه الجديد للسياسة الجنائية يلخصه مارك انسل في مؤلفه ' الدفاع الاجتماعي الجديد ' بأنها : مجموعة التدابير و الإجراءات التي يواجه بها المجتمع ظاهرة الجريمة بهدف الوقاية منها و مكافحتها و معاملة المجرمين .(إبراهيم حمداوي .2017.الرباط: مطبعة رباط نت. ص 25)

-إن المناداة باتخاذ التدابير الجنائية إلى جانب التدابير العقابية لما تحتويه من جرعات نفسية تنصب على علاج سلوك المجرم ضاربة في أعماق التاريخ، حيث نادى بها فلاسفة اليونان القدامى. غير أن هذه التدابير لم تعرف طريقها إلى التبلور في شكل قانوني إلا على يد المدرسة الوضعية التي صاغت نظرية عامة للتدابير حددت من خلالها عناصرها و أحكامها.(احمد قليش و آخرون. 2017. ص 153)

و التكفل النفسي بالمجرم السجين هو جزء من إستراتيجية التأهيل مجسدة في برامج المؤسسات العقابية يتوله بالإعداد و الإشراف فريق عمل يضم ممثل إدارة المؤسسة و الطبيب و الأخصائي النفساني و والاجتماعي و أخصائي الخدمة الاجتماعية. يهدف إلى مرافقة المجرم أثناء فترة العقوبة تمهيدا لتأهيله و إعادة إدماجه اجتماعيا.

2-أهداف التكفل النفسي بالمجرمين:

للأخصائي النفسي العيادي دور كبير يلعبه على مستوى التكفل بالمجرمين الذين صدر قي حقهم حكم قضائي نتيجة ارتكابهم جريمة معينة و يهدف الى :

* اكتشاف الدوافع (الشعورية واللاشعورية) التي ساهمت في أن يصبح الفرد مجرما .

* معرفة ما إذا كان السجين يعاني من اضطرابات نفسية أو عقلية كانت المحرض على الجريمة أو نتاج لها.

* التدخل على مستوى المؤسسات العقابية لمتابعة المجرمين والوقوف على أوضاعهم النفسية ومحاولة التخفيف من معاناتهم داخل هذه المؤسسات و مساعدتهم على تقبل العقوبة و إدراك أبعادها الاجتماعية

وليس العقوبة بمفهوم القصاص. و من ثم على التكيف مع بيئة السجن.

* تهيئة المجرم للعودة إلى الحياة الاجتماعية العامة و إبعاده عن العود إلى السلوك الانحرافي و الإجرامي.

3- التكفل النفسي بالمجرم.

يأخذ التكفل النفسي بالمجرم غالبا عدة مراحل هي:

1/3- مرحلة التكفل النفسي الأولي:

من أهداف هذا التكفل الأولي أو التمهيدي مساعدة النزيل-السجين- على التخلص من التوترات النفسية والمشاعر السلبية التي تسيطر عليه نتيجة عمليات الضبط والمحاكمة والإيداع بالسجن. فالنزيل عادة تسيطر عليه أفكار ومشاعر سلبية من أنه شخص مرفوض ومغضوب عليه وأنه قام بارتكاب خطيئة ضد المجتمع، وبسبب ذلك يقع فريسة للقلق والتوتر والإحساس بالخوف والاغتراب و العزلة أيضا.

وفي أحيان أخرى، قد يشعر النزيل بأنه شخص مظلوم ولا يرى نفسه مذنبا، إذ يقيم سلوكه تقييما مغايرا، هذا حسب نظريته الشخصية للحقوق والواجبات، ويؤدي به الشعور بالبراءة إلى العناد والتصلب في الرأي، ومقاومة النظام، ورفض التعامل مع القائمين بأمر إصلاحه وعلاجه .

ويتدخل الأخصائي العيادي في هذه الفترة الحرجة لتهيئة السجين لتقبل بيئة السجن الجديدة، ومحاولة التأقلم معها، من خلال استخدام خبرته ومهاراته (التقدير، التقبل، التعاطف الوجداني ...)، أثناء المحادثة والحوار للتعرف على حاجاته والعمل على إزالة هذه التوترات النفسية والمشاعر والأفكار السلبية التي تسيطر عليه عند دخوله السجن. و ينصح في هذا النوع من التكفل النفسي الابتعاد عن الشفقة لضمان مسافة تسمح للأخصائي النفساني التدخل الايجابي لمساعدة السجين.

و كخطوة أولى عليه أن يوضح للسجين واقع وطبيعة الحياة داخل السجن وتعريفه بنظم المعاملة بالمؤسسة (السجن)، وبرسالتها الإصلاحية ويزوده بمعلومات وشروح حول لوائحها وطبيعة النظام المطبق بها، وغيرها من المعلومات التي يتعين الإطلاع عليها لمعرفة حقوقه وواجباته، وقد تؤخذ هذه العملية (تكييف السجين) فترة من الزمن تزيد أو تقصر حسب شخصية السجين و مدة العقوبة.

2/3- مرحلة التكفل النفسي التشخيصي والعلاجي:

يتضمن هذا النوع من التكفل إجراء فحوص واختبارات قصد التعرف على الأمراض النفسية والجسدية التي قد تكون لدى السجين، على اعتبار أن تجربة الإبداع والحبس تجربة قاسية ومرهقة بإمكانها تفجير

أمراض نفسية لدى السجين، فقد تبين أن نسبة من المجرمين كانوا يعانون من حالة تعرف بهذيان السجين (جابر نصر الدين. 2006.ص 190) ، وهي حالة تستلزم التشخيص والعلاج ليس فقط لمساعدة السجين، وإنما أيضاً للحيلولة دون استخدامها كحيلة أو مبرر لإبعاد مسؤولية المجرم بسبب المرض العقلي الذي يوحي به هذا الهذيان. بالإضافة إلى ادعاء المرض أو ما يسمى بالتمسرح.

و يركز التكفل النفسي أيضاً على تشخيص و علاج بعض الأمراض النفسية والسلوكيات الانحرافية لدى السجين التي تكون موجهة نحو الآخرين لسبب ما، كالرغبة في السيطرة على الغير، أو الزعامة، والسلوكيات الإنحرافية الجنسية، وقد يكون السلوك العدواني للسجين موجهاً نحو الذات، كمحاولته الإضراب عن الطعام، أو إحداث إصابات بنفسه، أو حالات التفكير بالانتحار .

و أشارت المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي PRI في دليلها الإرشادي للعاملين في السجون حول الصحة النفسية في السجون – الذي يهدف إلى مساعدة موظفي السجون على فهم و تلبية احتياجات الصحة النفسية للنزلاء البالغين– إلى أن هناك أعراض و أمراض نفسية شائعة بين نزلاء السجون، هي :

- الأعراض الشائعة :

•الانتحار وإيذاء النفس.

•الارتباك في التفكير والحديث.

•حالات مزاجية متطرفة ومتناقضة

• تغيرات مفاجئة للمزاج/السلوك .

• السلوك غير السوي .

•عدم الاعتناء بالنفس والهندام.

• الهدوء والحزن والانسحاب.

*السلوك التخريبي أو المندفع العدواني.

●تعاطي المخدرات والكحول .

●عدم القدرة على إدراك المشاكل والاحتياجات والتعبير عنها.

- الانقطاع عن الآخرين.
- الهوس بالنظام والتمسك به بصرامة.
- التهيج.
- عدم الاكتراث.
- الخوف والقلق .
- عدم القدرة على التكيف مع المهام اليومية .
- صعوبة التركيز.
- مشاكل في النوم.
- مشاكل في الأكل.

أما الأمراض النفسية الشائعة التي يتعامل معها موظفو السجون فتتضمن في غالبها ما يلي :

*الاكتئاب :

هو تدني الحالة المزاجية لفترات طويلة، الأمر الذي يمكن أن يؤثر على الحياة اليومية وفي بعض الحالات يؤدي إلى إيذاء النفس أو الانتحار. يعاني المصاب بالاكتئاب في كثير من الأحيان من القنوط والشعور بانعدام القيمة وغياب الدافع. وهناك أنواع من الاكتئاب .

*القلق :

هو الشعور بالتوتر أو الخوف الشديد. و يمكن أن يعاني الشخص القلق من الضغط النفسي الناتج عن الحياة اليومية ومن الخوف من أمور من المستبعد حدوثها. يؤدي القلق في بعض الأحيان إلى الأرق ونوبات الهلع وتسارع في ضربات القلب .

*اضطرابات الشخصية:

يفكر المصاب باضطراب الشخصية ويشعر ويتصرف بشكل مختلف عن باقي الناس، مما يسبب ضيقًا أو مشاكل في العمل.

*اضطراب كرب ما بعد الصدمة- -PTSD- :

هو اضطراب تسببه أحداث وظروف صادمة ويعتبر واحد من اضطرابات القلق . قد يصاب الإنسان باضطراب ما بعد الصدمة بعد أشهر أو سنوات من الحدث الصادم الذي يستحضره المصاب بشكل

اقتحامي ومتكرر من خلال المشاهد الارتجاعية والكوابيس. وتصاحب بعض الإحساسات الجسمانية هذا الاستحضار القهري للأحداث بما في ذلك الألم والتعرق والغثيان والارتجاف .

*اضطرابات الطعام:

و هي أكثر شيوعًا بين النساء السجينات، وتتضمن فقدان الشهية والشره المرضي والأكل بنهم التي غالبًا ما تكون تعبيرًا عن الألم والصعوبات الحياة.هذا، وهناك مشاكل نفسية أخرى يمكن أن يلحظها موظفو السجون لكنها نادرة الحدوث، من بينها :

*اضطراب ثنائي القطب :

اضطراب يؤدي إلى تقلبات شديدة وجارفة بين الحالات المزاجية المتناقضة؛ حيث تتقلب حالة المصاب المزاجية من الحزن والخمول إلى الانتشاء وفرط النشاط. تؤدي هذه التقلبات إلى شعور بالضيق ويمكن أن يكون لها تأثير شديد على الحياة اليومية.

*الفصام العقلي:

مرض يسبب الهلوسة والأوهام والتفكير المضطرب. كما أنه قد يؤدي أيضًا إلى انفصال المصابين عن حالتهم العاطفية.

(الصحة النفسية في السجون .دليل إرشادي موجز للعاملين في السجون. المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي PRI

cdn.penalreform.org)

و يرتكز هذا النوع من التكفل على تطبيق أدوات التقييم المختلفة : ملاحظات،اختبارات، مقابلات عيادية و دراسة الحالة(بما فيها تاريخية الحالة). قصد تشخيص وتقييم حالات السجناء النفسية ، تسهيلاً لرسم طرق علاجهم وتوزيعهم على نشاطات البرنامج التاهيلي أو العلاجي المسيطر لهم.

1/2/3- أساليب التكفل النفسي العلاجي للسجين:

***الإرشاد النفسي:**

يستخدم الأخصائي النفسي هذا الأسلوب أكثر مع الحالات ذات الاضطرابات الخفيفةفي الشخصية. ويلعب الإرشاد النفسي دوراً هاماً خلال مرحلة التكفل النفسي الأولي، لأنه يساعد على إزالة التوترات النفسية والمشاعر السلبية التي يعانيها السجين بعد دخوله السجن، فمن خلال إقامة العلاقة الإرشادية

الجيدة (التقبل، التقدير، التفهم) يستطيع المرشد النفساني تهيئة السجين للبيئة الجديدة، وإزالة الكثير من مشكلاته وتوتراته.

وكما هو الحال في العلاج النفسي، ينصب الاهتمام في الإرشاد النفسي على شخصية السجين من خلال تدعيم الذات لإزالة المشاعر السلبية المرتبطة بوضعه الحالي، إلى جانب تعديل وتغيير استجابته وأفكاره واتجاهاته الخاطئة.

و الإرشاد النفسي يعتمد على أساليب وطرائق متنوعة هي نفسها التي يستخدمها المعالج النفساني مثل الإيحاء، النصح ، الإقناع، تأكيد الذات ، التعاطف، التقبل،...الخ .

ومن الطرائق الشائعة في الإرشاد النفسي، الإرشاد الديني: وبمساعدة رجال الدين الذين لديهم خبرة في المعاملة العقابية بهدف تنمية القيم الدينية والأخلاقية لدى السجين وزيادة إدراكه ووعيه بشأن العوامل التي أدت به إلى ارتكاب الجريمة.

***العلاج النفسي** : إلى جانب العلاج الطبي الجسدي والعلاج الطبي العقلي، تتوافر بمؤسسات إعادة التربية العلاج النفسي. ومن الطرق الأكثر شيوعاً في علاج نزلاء السجون: العلاج النفسي التحليلي، والعلاج السلوكي–المعرفي، والعلاج العقلاني – الانفعالي، والعلاج النفسي التدعيمي. و من أهدافه الآتي:

.– زيادة وعي الفرد (السجين) واستبصاره وفهمه.

.– تقوية الأنا (الذات) وتنميته.

.– تغيير البناء المعرفي وأساليب التفكير الخاطئة و اللاعقلانية.

.– تعويد السجين على الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية.

مع أنه يمكن استخدام أكثر من طريقة في علاج الحالة الواحدة.

3/3– مرحلة التكفل النفس الوقائي أو الاندماجي:

نعني بالتكفل النفسي الوقائي والاندماجي ذلك التأهيل النفسي الذي يعمل على تبصير المجرم بطبيعة الجرم الذي ارتكبه وبعواقبه وأضراره، فضلا عن التدخل لإعداد المجرم (السجين) وتهيئته، من خلال الجلسات الإرشادية لمواجهة المرحلة الانتقالية ما بين حياة السجن، والعودة إلى الحياة العادية للتقليل من ظاهرة العودة، و مساعدته في التغلب على مشاكله النفسية مثل : فقد الثقة بالنفس ، الخوف من الوصم ، الميول العدوانية.

و على الأخصائي النفساني أن يحسن الإنصات والاتصال مع السجناء، وعليه الأخذ بالفكرة الأساسية التي تقوم عليها النظرة الحديثة في التعامل مع السجناء والتي مؤداها أن للعقوبة وظيفة نفسية

واجتماعية وهي تأهيل الجاني وجعله مواطنا صالحا عن طريق تنمية إمكانياته ومؤهلاته وتهذيب سلوكاته وأخلاقه، ومساعدته على التوافق مع نفسه ومع محيطه الاجتماعي.

و لأغراض الاندماج الاجتماعي للسجين يحاول الأخصائي النفسي، في نهاية فترة الإبداع أو قبل مغادرة السجين المؤسسة، تبصير النزيل بأن فرصته في النجاح بعد خروجه من السجن تتطلب تغيرا جذريا في سلوكه، وأن هذا التغير هو نتيجة مباشرة لاتجاهاته الاجتماعية نحو المجتمع .

و يدعم التأهيل النفسي التأهيل الاجتماعي، وفيه يعيد الأخصائي الاجتماعي وصل السجين بأسرته ومجتمعه ودمجه في النشاطات (الثقافية، الترفيهية، الرياضية، المهنية) داخل السجين، فمن خلال هذا النوع من التأهيل توضح للسجين أهمية احترام القوانين والامتثال للمعايير الاجتماعية في المحافظة على

أمنه وأمن مجتمعه، وكذا توضيح أنسب الطرق لإشباع حاجاته المادية والنفسية، وكيفية تجنب الصراع الناتج عن المواقف المحبطة التي تعترض حياته.

إن نجاح عملية الاندماج الاجتماعي عملية صعبة تتضافر في تحقيقها جهود الأخصائي النفساني والاجتماعي، و الآسرة وجهات أخرى داخل المجتمع المدني، فضلا عن إرادة السجين نفسه.

و يتمحور البرنامج التاهيلي للسجين على فكرة أساسية و هي تأكيد العلاج بدلا من تأكيد العقاب.
و نشير في هذا السياق أن في بعض الولايات الأمريكية و بالتحديد في نيويورك و كاليفورنيا هناك بعض المحاولات الخاصة في بعض السجون، حيث يوجه الاهتمام نحو التأهيل و العلاج النفسي أكثر من مجرد الاعتقال و الحبس.(جابر نصر الدين. 2006.ص 192)

و يهدف التكفل النفسي للمجرم السجين أساسا إلى إعادة ترميم مكونات الشخصية و إعادة التوازن لها. كما نشير إلى أن نجاح هذا التكفل عموما للسجين و إعادة إدماجه اجتماعيا بعد خروجه من السجن يرتبط بـ : سن المجرم ، تكراره للجريمة، جسامة الجرم المرتكب، مدة العقوبة، تنوع المعاملة التي تلقاها، و طبيعة التأهيل المبرمج له.

وفي بعض الدول لا يقتصر التكفل النفسي للمجرمين على فترة وجودهم داخل مؤسسة إعادة التربية بل يتعدى ذلك إلى متابعة ظروف حياتهم بعد الإفراج عنهم من خلال مساعدتهم على إيجاد عمل ملائم يكفل لهم العيش الكريم وبالتالي تجنب عودتهم للإجرام.

و في الجزائر عقدت عدة لقاءات و ملتقيات حول إدارة السجون و الاطلاع على تجارب بعض الدول مثل ايطاليا، تولد عنها مشروع إصلاح العدالة و المؤسسات العقابية ، يتضمن العديد من الأفكار

و التصورات و حتى الحلول للوصول إلى مستوى مقبول من التكفل الصحي الاجتماعي ، النفسي و المهني للسجين.

و على الأخصائي النفساني أن يتعامل مع المساجين برؤية واقعية تنطلق من معطيات الواقع الاجتماعي، موظفا في ذلك ما يراه مناسبا و ملائما من طرق و أساليب الفحص و التشخيص و العلاج ضمانا للتكفل النفسي و التأهلي و العلاجي مستعينا أيضا بتراث و ثقافة و قيم المجتمع.

المراجع:

- إبراهيم حمداوي.(2017) مدخل إلى سوسيولوجيا الجريمة–مفاهيم و نظريات.الرباط: مطبعة رباط نت.
- احمد قليش و آخرون.(2017) علم الإجرام و العقاب. مراكش: فضاء ادم للنشر و التوزيع.
- (جابر نصر الدين. (2006)السلوك الانحرافي و الإجرامي.الجزائر. عين مليلة: دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع.
- الصحة النفسية في السجون .دليل إرشادي موجز للعاملين في السجون. المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي PRI

cdn.penalreform.org.